﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ [الطارق: 8 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تأكيدُ قُدْرَةِ مَنْ خَلَقَ مِن ماءٍ دافقٍ على الإرجاعِ والمُحاسَبَة

بَعْدَ أن بَيَّنتِ الآياتُ السّابقة أنَّ النَّظر والتَّفكُّر في الخَلْقِ الأوَّل يهدي الإنسانَ إلى الإيمان بقُدْرَةِ الله تعالى على الإرجاعِ والبَعْثِ؛ ناسَب أن تُؤَكِّد هذه الآياتُ قدرةَ الله تَعالى على بَعْثِ الإنسانِ وإرجاعِه في يومٍ تُكْشَفُ فيه السَّرائر، ولا يكون للإنسانِ قوَّةٌ يدفَعُ بها عن نَفْسِه، أو ناصرٌ يحولُ بينَهُ وبينَ عذابِ رَبِّه.

تأكيدُ البَعْثِ والحِسابِ لِمَنْ يُنْكِرونَهُ

ويُمْكِن القولُ: إنّه لمّا عُلِمَ بالحفظ والخَلْقِ في الأطوار المُشار إليها أنَّ الإنسان خُلِقَ لأمرٍ عظيم وهو العبادَةُ ثُمَّ الحساب عليها، وثبَتَ بالقُدرة على ابتدائه مِن هذا الماء وبتطويره - في الحالاتِ المُشار إليها بذِكْرِ الماء المعلومةِ لِكُلِّ أحَدٍ - القدرةُ على الإعادة بلا فرْقٍ، إلّا كون الإعادةِ أسهلَ، وكان العربُ يُنْكِرونها؛ ناسبَ أن يُؤَكِّد لهُم ذلك، فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿رَجۡعِهِۦ﴾: (رجع) أصْلٌ كَبيرٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ على رَدٍّ وتَكْرارٍ، تَقولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجوعًا؛ إذا عادَ، فالرُّجوعُ: العَوْدُ إلى ما كانَ منهُ البَدْءُ، والرَّجْعُ: الإعادَةُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾[2]؛ أي: رجَعَ الإنسانُ بالبَعْثِ، وردَّهُ إلى حالِهِ الأولى وخَلْقِه الأوَّل، كما كان قبلَ المَوْتِ[3].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 379.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (رجع).
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 380.

2) ﴿تُبْلَىٰ﴾: الباءُ واللّامُ والواوُ والياءُ أصْلانِ؛ أحَدُهُما: إخْلاقُ الشَّيْءِ، يُقال: بَلِيَ الثَّوب بلًى وبَلاءً؛ أي: خَلِقَ، والمعنى المحوريُّ هو: شدَّة تحوز الشَّيء، أو حَوْز الشَّيء بشِدَّة لِمَدى طويلٍ يَتَّضِح من خلالها حالُه وينكشِفُ أمرهُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، ومعناهُ: تُعْرَفُ وتُكْشَف[1].

3) ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: لفظ (سرّ) أصْلٌ يَجْمَعُ فُروعَهُ إخْفاءُ الشَّيْءِ وخالِصُهُ ومُسْتَقَرُّهُ، لا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْهُ عَنْ هَذا، والسِّرُّ هوَ الحديثُ المكتومُ في النَّفس، وهو خِلافُ الإعْلانِ، يُقالُ: أسْرَرْتُ الشَّيْءَ إسْرارًا؛ خِلافَ أعْلَنْتُهُ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: 7] وجمعُهُ: أسرارٌ، والسَّريرة مثلُهُ، وجَمْعُها: السَّرائر[2]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي: تَنْكَشِفُ سرائِرُ العَبْدِ التي كانت في قَلْبِه مِن عقائِدَ ونيّاتٍ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللـه تعـالى قـادرٌ على بَعْثِ الإنسانِ وكشْفِ سَـرائـرِه، ولـن يُدافعَ عنه أحدٌ

تُؤَكِّد هذ الآياتُ أنَّ اللّه تَعالى الذي قَدِرَ على خَلْقِ الإنسان من ماءٍ دافِق، يَخْرُجُ من بَيْنِ الصُّلب والتَّرائب؛ قادرٌ أيضًا على إعادةِ خَلْقِ هذا الإنسانِ بَعْدَ مَوْتِه، وعلى بَعْثِه من قَبْرِه للحِساب والجزاء يومَ القيامة، يومَ تُكشَفُ المَكْنوناتُ، وتَبْدو ظاهِرَةً للعيان، وتُرفع الحُجُبُ عمّا كان يُخْفيه الإنسان في دُنْياه مِن عقائدَ ونيّات وغيرهما، وفي هذا اليوم لا يكون للإنسانِ قوَّة تحميه مِن الحساب والجزاء، ولا يكون لَهُ مِن ناصِرٍ يَنْصُره من بأس اللّه تَعالى أو مُدافِعٍ يُدافِعُ عنهُ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بلوي)، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بلو).
(2) الجوهري، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (سرر - س).
(3) السُّيوطي، مُعترك الأقران: 3/ 442.
(4) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 356.

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فضلِ الآية عمّا قَبلَها:

تَـقـريـرُ إمْـكـانِ إعادَةِ الخَلْقِ

جاءت جُملة: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُجيب فيه الجُمْلَةُ المفصولةُ عن سُؤال أثارَتْهُ الجُملةُ السّابقةُ في نفسِ المُتلَقّي؛ إذْ يَتَساءَلُ السّامعُ بعدَما يَسْمَع ما مَضى مِن الآيات عن المَقْصِد مِنَ الأمر بالنَّظر في أصل الخِلقة، وإذْ قَد كان ذلك النَّظرُ نظرَ استدلال؛ فهذا الاستئنافُ البيانيُّ له يَتَنَزَّلُ منزلَةَ نتيجةِ الدَّليل، فصار المعنى: إنَّ الذي خَلَقَ الإنسانَ مِن ماءٍ دافِقٍ قادرٌ على إعادة خلقه بأسباب أخرى، وبذلك يتقرَّر إمكان إعادة الخلق، ويزول ما زعمَهُ المُشركون من استحالةِ تلك الإعادةِ[1].

مَرْجِعُ الضَّمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾:

خـالـقُ الإنـسـانِ والـقـادرُ على بَعْثِه مَعْروفٌ، لا يُحتاج إلى ذِكْرِ اسْمِه

الضَّمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائدٌ إلى اللّه سُبْحانَهُ، مع أنَّه لم يَسْبِق ذكرُه، ولكنَّ بناءَ الفعل لِما لم يُسَمَّ فاعلُه في قوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ يُؤْذِنُ بأنَّ الخالقَ مَعْروفٌ لا يحتاج إلى ذِكْرِ اسْمِه، وأُسند الرَّجعُ إلى ضميرِه دونَ سُلوك طريقة البناءِ للمَفْعول كَما في قوله: ﴿خُلِقَ﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إيضاحٍ وتَصْريحٍ بأنَّ اللّه تَعالى هو فاعلُ ذلكَ[2].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتُها:

اللّه تعالى قادرٌ عـلى إرجـاع الإنسانِ للحَياة بَـعْـدَ المَـوْتِ مُتَمَكِّنٌ منه غايةَ التَّمكُّن

قولُهُ تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ جارٌّ ومجرور مُتعلِّق بـ (قادِرٌ)، وقد أوثِرَ التَّعبير فيه بحَرْفِ الجرِّ المُفيدِ للاستعلاءِ للدَّلالة على بيان كمال قدرة اللّه تعالى مِن إرجاعِ الإنسان إلى الحياة، وقدرته التّامّة على إعادةِ الرّوح إليه بَعْدَ أن تُفارِقَه بكلِّ يُسر وسهولة.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 264، 265.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 141، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 265.

غَرَضُ التَّعبير عَن البَعْثِ بالرَّجْعِ:

الـرَّجْـعُ يشمَلُ البَعْثَ والرَّدَّ إلى الحالِ التي كان عليها قبلَ المَوْتِ

عبَّر النَّظم الكريم عن بَعْثِ الإنسان وإحيائِه بقولِه: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ دون غيره؛ لشُمولِهِ القُدْرَةَ على البَعْثِ، والقُدرةَ على الإرجاع إلى الأصلِ الذي منه خُلق، والحال التي كان عليها قبل الموت مِن غير زيادةٍ ولا نُقصان، على الرُّغم من فناء الجسم، وتَفَتُّت العَظْم، واختلاطه بالتُّراب وبرُفاتِ غيره مِنَ المَوْتى، والمعنى: "قادِرٌ على رجع الإنسانِ بالبعث، وردِّه إلى حالِه الأولى، وخَلْقِه الأوَّل كَما كان قَبْلَ المَوْت، وعلى ردِّ الماءِ الدّافق إلى مجاريه التي خرَج منها، وحِلِّه إلى المائيَّة بعد انعقادِه عَظْمًا ولَحْمًا ودمًا"[1].

وجْهُ الإضافةِ إلى ضميرِ الإنْسانِ:

الإنـسـانُ هو الـذي أنكر كثيرٌ مِـن أفـرادِه البعثَ على مرِّ العصورِ

الضَّمير المجرور في: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ عائد إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الذي سبق ذكرُه في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾، ووجه الإضافةِ إلى ضَميرِه أنَّه الذي يُنْكِر كثيرٌ من أفراده على مرّ العصور حقيقةَ البَعْثِ والإرجاع والحساب، فأُعيدَ الضَّمير إليه ليشمل الإرجاعُ جنسَ أفرادِه بما فيهم المُنْكِرون.

سِرُّ تتابُعِ المؤكِّدات في الآية:

إلـجـامٌ مُـنْـكِـري الـبَـعْـثِ ومَـنْ يَـحْـذو حذوَهم على مَرِّ العُصور

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ مُؤكَّدا بـ (إنَّ) والجُملةِ الاسميَّة واللّام المُزَحْلقة الدّاخلة على الخبر: ﴿لَقَادِرٌ﴾ رعايةً لحال المُشْركين الذين يَكْفُرون بالله تعالى ويَرْفُضون الإيمانَ بالبَعْث، ويُشَكِّكون في قُدْرَةِ الله تعالى عليه، بصورةٍ مُباشِرَةٍ أو غير مُباشِرَة، فجيء بالكلام مُؤَكَّدًا بأكثَر مِن مُؤَكِّد إلجامًا لَهُم ولِكُلِّ مَن يَحْذو حَذْوَهُم في مُختَلَف العُصور والأزمانِ.

دلالةُ التَّعبير بالخَبَرِ اسْمًا مُشتقًّا:

عبَّر النَّظم الكريم عن الخبر الدّالِّ على قُدرة الله تعالى على

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 380.

بَعْثِ الإنسانِ وإرجاعِه إلى أصلِه بالاسْمِ المُشْتَقِّ الدّالِّ على الثُّبوت والدَّوام، فقال: ﴿لَقَادِرٌ﴾ للدَّلالة على أَنَّ القُدْرة على ذلك الأمرِ وغيرِه مِن صفات اللّه تَعالى الثّابتة، التي لا تتبَدَّل ولا تتغيَّر ولا تتَأثَّر، والمعنى: "لَثابِتَةٌ قُدْرَتُه على ذلك أتَمَّ ثباتٍ، فمِن أيْسَرِ ما يكونُ عندَهُ ﷺ ردُّه بَعْدَ شَيْخوخَتِه على عَقِبِه، بأن يَجْعَلَه كَهْلًا ثُمَّ شابًّا ثُمَّ طِفْلًا ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ علقَةً ثُمَّ نطفة ثُمَّ يدفَعُهُ إلى ذَكَرِ الرَّجل ورحِمِ المرأة، ثُمَّ إلى صُلْبِه وتَرائِبِها، وهو أهوَنُ عليه، وذلك كقُدْرَتِه على ردِّه بالبَعْثِ" تمامًا بتَمامٍ[1].

القُدرةُ على كُلِّ شيءٍ مِن صفات اللهِ تَعالى التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر

سِرُّ فصلِ قولِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ عمّا قَبْلَهُ:

جاءت جُملة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ مفصولَةً عمّا قَبْلَها لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُنَزَّل فيه الجُملةُ الثّانية من الأولى منزلةَ الجَواب مِنَ السُّؤال؛ ذلك أنَّ ما سبَقَ مِن الحديثِ يُحَرِّك السّامع إلى أن يَتساءَلَ عَن وقتِ ذلك البَعْثِ والإرجاع، فيأتي قولُه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ ليُحَدِّد وقتَ بَعْثِه وإرجاعه وحِسابِه بدِقَّة وتأكيدٍ[2].

دلالةُ الظَّرف ﴿يَوْمَ﴾:

قُدرةُ اللهِ تعالى لا تَخْتَصُّ بوقتٍ دون وقتٍ

قولُه تعالى ﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ متعلّقٌ بـ ﴿رَجْعِهِۦ﴾ ولا يصحّ تعليقُه بـ (قادِرٌ)؛ لأنَّه تعالى قادر على رَجْعِه في كلِّ وقت من الأوقات، ولا تختصُّ قُدْرَتُه بوقتٍ دونَ وقت، وقيل: إنَّه معمولٌ لمحذوفٍ تقديرُه: يُرجِعُهُ يومَ تُبلى السَّرائرُ[3].

وجهُ التَّعبير بالفِعْلِ: ﴿تُبْلَى﴾:

كَشْفُ السَّرائر قد يترتَّب عليه بلاءٌ عظيمٌ، وعقابٌ شديدٌ

عبَّر البيانُ الكريم عن انكشافِ السَّرائر ومَعْرِفَتِها بالفعل: ﴿تُبْلَى﴾ دون (تُعرف أو تُكشف)؛ لِما فيه مِن معنى البلاءِ والشِّدَّة المُتَرَتِّب على

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 380.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 380.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 443.

معرفةِ ما كان يُضْمِرُه الإنسان في الدُّنيا ولم يُطْلِعْ عليه أحدًا من النّاس، سواءٌ أكان ذلك في العقائدِ أمْ في النّيّات والمقاصد التي كانت تَدْفَعُه إلى الأعمال بمُخْتَلف أنواعِها؛ إذْ ما من شكٍّ في أنَّ الكَشْفَ عن ذلك قَد يترتَّب عليه لصاحِبه بلاءٌ عظيمٌ، وعقابٌ شديدٌ[1].

دلالةُ بناء الفِعْلِ ﴿تُبْلَىٰ﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُه:

جيء بالفعل: ﴿تُبْلَىٰ﴾ مبنيًّا للمفعول؛ للإشارة إلى سُهولَتِه على الله جلَّ في عُلاه، وللتَّنبيه على أنَّ الأمرَ بَيِّنٌ غايةَ البيان؛ لأنَّ الذي يَبْلوها هو الذي يُرْجِعُها، وهو الله ﷻ مِن غيرِ احْتياجٍ إلى ذِكْرِ اسْمِه ﷻ[2].

كشفُ السَّرائر ومعرفةُ الخبايا أمرٌ في غاية السُّهولة على الله تعالى

نوع (أَلْ) في ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ودلالةُ جَمْعِه:

﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ جمع: سريرة؛ وهي ما يُسِرُّه الإنسانُ ويُخْفيهِ مِن نواياهُ وعقائدِه، و(أَلْ) فيه لتعريفِ الجِنْسِ، وجيء به مُعرَّفًا بها، ومجموعًا جمعَ تكسيرٍ؛ ليشمَلَ كُلَّ ما انطوت عليه الصُّدورُ من العقائد والمقاصد، وكلَّ ما أَخْفَتْهُ الجوارحُ من الإخلالِ بالوُضوء والغُسل ونحو ذلك من الجِنايات، بأنْ تُخالط السَّرائر في ذلك اليوم، وهو يومُ القيامة، مِن الأمور الهائلة ما يُميلها فيُحيلُها عمّا هي عليه، فتعود جَهْرًا بعدَ أن كانت سِرًّا، فيُمَيَّزَ طيّبُها مِن خبيثها، ويُجازى عليهِ صاحِبُه[3].

سيُجازى الإنسانُ على جميع سرائرِه الجَزاء الأوْفى يومَ القيامةِ

بلاغةُ الكِناية في قولِه: ﴿تُبْلَىٰ ٱلسَّرَآئِرُ﴾:

بَلْوُ السَّرائرِ يعني: اختبارَها وتمييزَ الصّالح منها مِنَ الفاسِد، والكَشْفُ عنها يَسْتَلْزِم مُحاسبةَ صاحبِها، ومُجازاته عنها بالثَّواب أو العقاب، وهذا يَجْعَلُ قولَهُ تعالى: ﴿تُبْلَىٰ ٱلسَّرَآئِرُ﴾ كنايةً مصحوبةً بالدَّليل والبُرْهان على حسابِ الإنسان على ما أخفاهُ مِن الأعمال،

كشْفُ السَّرائر يَستَلْزِم مُحاسبَةَ صاحِبها ومُجازاته

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 121.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 380، 381.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 381.

ومُجازاته عليها الجزاءَ الأوفى، وكشفُ الأعمال الظّاهرة والأقوال والمُحاسبة عليها مُستفادٌ بدلالةِ الفَحْوى من بَلْوِ السَّرائر وكَشْفِها[1].

معنى الفاءِ ودلالتُها:

الفاءُ في قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ حرفُ عَطْفٍ يُفيدُ بجانِبِ التَّعقيب معنى التَّسبُّب؛ إذْ لمّا كان المانِعُ مِن جَزائِهِ عندَ إظْهارِ سرائرِهِ إمّا هو نَفْسُه أو أحَدٍ ينصرُه؛ قال مسبَّبًا عن إظهار ما يجتَهِدُ في إخفائه: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾[2]، والمعنى: إنَّ كَشْفَ الخَفايا القبيحَة والسَّرائر السَّيِّئة سيترَتَّب عليه ولوجُ الإنسانِ العذابَ، الذي لا يَسْتَطيعُ أن يمنَعَهُ عَن نَفْسِه، ولا يستطيع أحدٌ نُصرتَه أو إخراجَه منه.

كَشْفُ السَّرائر قد يترَتَّب عليه عذابٌ لا طاقَةَ للإنسانِ بهِ، ولا يستطيعُ أحدٌ دفْعَه عنهُ

دلالةُ التَّعبير بـ (ما):

(ما) في جُملة: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ هي النّافية العامِلَةُ عمَلَ (ليس)، وقد أوثِرَ النَّفيُ بها؛ لأنَّ مِن خصائِصِها نفيَ الجُمل الاسميَّة والفعليَّة، وهي آكدُ في النَّفي من (ليس)، وأوسَعُ استعمالا منها أيضًا؛ لأنَّ (ليس) مُختصَّةٌ بنفي الجُمَل الاسميَّة فحسبُ[3]، والنَّفي بـ (ما) أنسبُ هُنا؛ لأنَّها تُفيد - بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ - نفيَ قدرة الإنسان الذي كُشِفَتْ سرائره على دفع العذابِ عَن نَفْسِه، ونفي وُجود أحدٍ يَنْصُره، ويُنْجيهِ مِن ذلك العذاب، نفيًا قاطعًا لا حدودَ لهُ.

نفيُ قُدْرَةِ الإنسان على أن يدفعَ العذاب عن نفسِه نَفْيًا قاطِعًا

معنى اللّام في ﴿لَهُۥ﴾، وبيانُ مَرْجِع ضَميرِه:

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ﴾ في جملة: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ جارٌّ ومجرور في محلِّ رفعٍ خبرٌ مقدَّم، والضَّمير فيه يرجِعُ إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾، واللّام فيه حرفُ جرٍّ يُفيد اختصاصَ الإنسان الذي

لا يَسْتَطيعُ الإنسانُ الذي كُشِفَتْ سرائرُه أن يدفَعَ العذابَ عن نفسِه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 265.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 381.
(3) السّامرائي، معاني النَّحو: 4/ 191.

كُشِفتْ سرائرُه وفُضِحَت خباياه بالعَجْز عَن منع العذاب عن نفسِه، وعجز الآخرين عن إنْجائِه مِن ذلك العذاب، مهما كانوا وأيًّا كانوا.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالَتُها:

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ حرفُ جرٍّ يُفيد تأكيدَ انْتِفاء قُدرةِ الإنسان الذي أُخرجت سرائرُه على دَفْعِ العَذاب عن نفسِه، وتأكيد انتفاءِ قيامِ أحَدٍ بنُصرته وإنجائه منه، تأكيدًا يحولُ دون الشَّكِّ والارتيابِ في ذلك الأمْرِ.

تأكيدُ عجْزِ المَفْضوح عن دَفْعِ العذاب عن نفسِه تأكيدًا يَحولُ دونَ الشَّكِّ أو الرَّيب

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿قُوَّةٍ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريم بالاسْمِ المجرورِ نكرةً، فقال: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ لِما يُفيده التَّنكير الواقعُ في سياق النَّفي مِن شُمول المَعْنى كلَّ أنواع القوَّة التي يَمْنَع الإنسانُ بها نفسَه من العذاب[1]، والمعنى: لا يستطيعُ الإنسانُ مَهْما أوتيَ مِن قوَّة وبأسٍ أنْ يدفَعَ العذابَ عن نفسِه.

لا قوَّة تدفَعُ العذابَ عن النَّفس

وَجْهُ العَطْفِ بالواو:

الواوُ في قولِه تَعالى: ﴿مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ لِعَطْف ما بعدَها على ما قَبْلَها، وأوثِر عَطْفُهُما بالواو التي تُفيد المُشاركة في الحُكْم للدَّلالة على اشتراك كُلِّ المخلوقات مع الإنسان الذي كُشِفتْ سرائرُه وظهرتْ قبائحُه في العَجْز عن منع العذاب عنه أو نُصْرته منه بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ؛ إذْ لا يكون الدَّفع إلّا بهذَيْنِ الأمرين: قوَّةٍ قائمَةٍ به، أو قوَّة خارجةٍ عنهُ[2].

لا يُدفعُ العذابُ إلّا بقوَّةٍ قائمةٍ بـه، أو قـوَّةٍ خارجةٍ عنه

دلالة النَّفْي بـ (لا):

أعاد النَّظمُ الكريمُ التَّعبير بحرف النَّفي (لا) بعد نفي قُدرة الإنسان على منْعِ العذاب عن نفسِه بـ (ما)، فقال: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ لتأكيدِ نَفْيِ قُدْرَة الآخرين على مَنْعِ العذاب عن ذلك الإنسانِ تأكيدًا

تأكيدُ نفي قُدرةِ أحَدٍ على دفْعِ العَذاب عَن الإنسان تأكيدًا لا شَكَّ معه

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 381.
(2) ابن قيِّم الجوزيَّة، التِّبيان في أقسام القرآن، ص: 106، والبقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 381.

قاطِعًا لا شَكَّ فيه، ولا حدودَ له، والمعنى: ولا ناصر يَنْصُره فيمنَعه مِن نُفوذِ الحُكْم فيه، ولو اكتُفِيَ بـ (ما) وعُبِّرَ معَها بـ (أو) فقيل: (فما له من قوَّة أو ناصر)؛ لَما أفاد تأكيدَ انْتِفائِهما بالقوَّة التي أفادها التَّعبيرُ القُرآنيُّ، بَل مِنَ المُمْكِن أن يُفهم وجودُ أحدِهما وعدمُ انتفائِهما معًا.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿نَاصِرٍ﴾ اسمَ فاعلٍ نكرةً:

أوثر التَّعبير عن المعطوف باسْم الفاعل، فقيل: ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ للدَّلالة على تَخاذُلِ الجميع عن نُصْرَة غيرِهم، وانْشِغالِهم بما كُشِفَ مِن أسْرارِهم، وعُرِفَ مِن أعْمالِهم، والمعنى: لا يُبادِرُ أحدٌ إلى نُصْرة غيره، ولا يُفَكِّر أحدٌ في دَفْعِ العذاب عن الآخرين. وجيءَ به نَكِرَةً؛ لِما يُفيده التَّنكير الواقع في سياق النَّفي من عموم المعنى وشُموله جنسَ الإنسان أيًّا كانَ.

لا يُبادرُ أحدٌ إلى نُصْرة غيره، ولا يُفَكّرُ في دَفع العذابِ عنه

❁ الفُروقُ المعجميّة:

البلاء والاختبار والامتحان والتَّمحيص:

البلاءُ هو: الاختبارُ والمِحْنَةُ والغَمُّ[1]، والاختبارُ هو: معرفة الشَّيء على حقيقته[2]، والامتحانُ: شِدَّةٌ تكشفُ حقيقةَ الشَّيء بإزالة ما يشوبُها ويُغَطّيها[3]، أمّا التَّمحيصُ؛ فهو خُلوصُ الشَّيء من الغَليظ المُخْتَلط به، فلا يَبْقى إلّا صُلْبُه وحقيقتُه[4]، ولَمّا كان الحديثُ عن قُدرة اللّه تعالى على بَعْثِ الإنسان وإرجاعِه إلى الحالِ التي كان عليها قبل الموت، يوم تُعرَف السَّرائرُ وتُكشفُ القبائحُ؛ ناسَبَ التَّعبير بمُفرَدَةِ ﴿تُبْلَى﴾ دونَ غيرها؛ لجَمْعِها بَيْنَ الاختبار والمحنَةِ والبَلاء، وهذه كلُّها أمورٌ تَحْصُلُ لِمَن كُشِفَتْ سرائرُهُ وعُرِفَت خَباياهُ، أمّا

البلاءُ يجمَعُ بَيْنَ الاختبار والمِحْنَة والغَمِّ، وكُلُّها أمورٌ تحصل في الآخرة

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بلو).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خبر).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (محن).
(4) الرّاغب، المُفردات: (محص)، جبل: المعجم الاشتقاقيّ: (محص).

غَيْرُها مِن المُفردات الوارد ذِكْرُها فلا حاجة للتَّعبير بها؛ لأنَّها في الأكثر تُناسِب ما يحصُلُ في الدُّنيا، لا ما يحصل في الدّار الآخرة.

النّاصِر والمؤيِّد والظَّهير والمُدافِع:

النّاصر هو: المُعينُ[1]، والتَّأييد: التَّقوية بشدَّة[2]، والظَّهير: المُساند المظهور به[3]، أمّا المُدافِعُ فهو الحامي[4]، ولمّا كان التَّعبير واردًا في سياق عَجْزِ الإنسان الذي كُشفتْ سرائرُه عن دَفْعِ العَذاب عن نَفْسِه، وعَجْزِ الآخرين عن إعانَتِه ومَنْعِه منه؛ ناسَبَ التَّعبير بمفردة: ﴿نَاصِرٍ﴾ للدَّلالة على عدَمِ مُبادرة أحدٍ إلى مُساعَدَتِه وعَوْنِه، بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ التي تَحولُ بينَه وبَيْنَ العذاب، ولو عُبِّر عن ذلك المَعْنى بأيِّ مفردةٍ أخرى لَما أفادَت تلك الفائدة؛ لأنَّ المؤيِّد قَد لا يَمْنَع، والمُظاهِرَ قَد يَكْتَفي بالمُساندَةِ دون الإقدام، والمُحامي قَد يُدافِع بالقولِ لا بالفِعْلِ، أمّا النّاصر فهو الوحيد الذي يُساعِدُ بالأقوال والأفعال، كما فعَلَ الأنصارُ.

النّاصر هو الوحيدُ الذي يُسانِدُ بالأقوال والأفعال، كما فعلَ الأنصارُ

(1) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 5/ 69.
(2) الرّاغب، المُفردات: (أيد).
(3) الرّاغب، المُفردات: (ظهر)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 3/ 549.
(4) الرّاغب، المُفردات: (دفع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"